



## السلام العالمي والاسلام

للكاتب الراجعية الأستاذ سيد قطب

للاستاذ محمد فياض

«الفهم الاجتاعي» للفكرة الإسلامية، منذ نشأت إلى الآن .. فكل ما كان من فهم الفكرة الإسلامية، لم يعد تناول بعض جنباتها في شطحات مفككة، بين خطأ وصواب؛ أما سيد قطب فكان من الإسلام في عصرنا الحاضر، بمثابة المدسات الهجمة الكبيرة .. الفرقة الوزعة، أو كان بمثابة المرأة الضخمة التي انصكت لنا فيها الفكرة الإسلامية، وانحة ناطقة، صافية معقولة، جذابة منطقية

ولم يلق لا أعدو الواقع، حين أقول إن سيد قطب لو قدر له في أسلوبه، طبيعة السخرية والتورية، والإيماء والسكناية؛ لفاق تأثيره تأثير «فولتير» في هزه للنفس البشرية، من داخل لا من خارج، وفي إشعاره لها بالسكيت والضغط .. وإذن لاحتل سيد قطب في حياته وفي عصره مكانة لا تقل عن مكانة «فولتير» في التاريخ .. ولقد المؤمن بالحرية والإخاء والمساواة بعد مماته .. ولكنني أعتقد أن سيد قطب ينأى بنفسه عن ذلك الجانب، ليوائم بين كتابته وحقيقة ما يكتبه عن الفكرة الإسلامية، التي لا تعرف الألتاز والمعيات، والتي لا تهرب من الضوء .. وأعتقد أيضا أن الجامع مع ذلك بينه وبين «فولتير» هو أن كليهما في عصره وبك مليء بالقلق، مليء بالتطلع؛ وأن كليهما مخلص لفكرته، مؤمن بها في ميدانه؛ وأن كليهما متأثر بعصره، شديد التأثير في زمانه وما بعد زمانه .. رغم ما بينهما من تفاوت في النهج والنحى والطريقة، ورغم ما بين فكرتهما من تباين في الأسس وفي الأصول

وقد لا يتصرف في التعبير عن الواقع حين أقول: إن طبيعة الأستاذ سيد قطب ككاتب، طبيعة مرنة لينة، تستجيب وتعي .. وتتأثر وتتأثر .. في أسلوبه بساطة محبة أليفة، وسلاسة طبيعية غير متكلفة، وفي أدواته دقة للكليات والجزئيات .. وفي تصويره براعة التناسق والتوازن، والتبادل والانجسام .. وإنك لا تكاد تقرأ الصفحة من كتابه، أو النهر من مقاله، حتى قسم بكل مقسم، أنك قد لمت من خلال السطور، وفرقة الروح، وحرارة العقيدة، ونضارة الفكرة، وأن سيد قطب يكتب حين يكتب، بكل جوارحه ومشاعره وأحاسيسه؛ وأنه يضيئ فيها يكتب ويخلص لا يحطر، وأنه يعكس من خلال السطور، في قسوة، وفي رحمة ..

بينما تتصارع الشيوعية والديمقراطية من جهة، وبينما تتصارع شعوب ندين بالإسلام مع كلتا الكتلتين من جهة أخرى؛ يقفز من بين الشعوب الإسلامية دعاة إسلاميون وهيئات إسلامية، فيتقدمون الصفوف، ويمسكون بدفة التوجيه في محاولات جبارة ليحولوا وجهة الكفاح الشمي في الرقعة الإسلامية، إلى كفاح إسلامي يستعصم على الفكرة الشيوعية، ويتمرد على دعاة الديمقراطية، ويتجه إلى الإسلام .. ليكون القوة الإسلامية الأولى، التي أنبشت من بطن الصحراء، لتبدل دولة الفرس الوثنية، وتزبل دولة الرومان الظالمة، فتبلم رسالتها، وتؤمن رقعها، وترفع الظلم عن كل إنسان

وفي غضون ذلك كله، ومن بين صفوف قادة الفكر، ودعاة الفكرة، ومن بين أبراج الأدباء والكتاب في بلادنا؛ رأينا صاحب قلم جرى، ينزل من بين الأبراج، ليبرز خلال الصفوف الشعبية، متجردا، مخلصا، لكفاح .. الكفاح المرير بثمته وقيوده، فيضرب هنا، ويضرب هناك، ضربات متتاليات متواليات، في ميدان الفكرة الإسلامية، وفي ميدان الفكرة الاشتراكية .. وفي ميدان الشعوب .. لتأكل .. لتلبس .. لتعي .. لتتحرر .. لتعيش عيشة الإنسان!

وما نفلنا بمد في حاجة إلى الإشارة لصاحب هذه الضربات الحرة السافرة، فنحن نعرف فيها الأستاذ سيد قطب، كما نعرفه بها .. والمجدد بالإشارة: أن الفكرة الإسلامية تحت ذاية قلبه بدت لنا مكبرة، ضخمة، وانحة، في كتاباتها وجزئياتها، في مهاجتها وأتسائها؛ وهذه حالة جديدة، وظاهرة فريدة، في

بيده ورجليه ، وعقله وطاقته

وهذه واحدة أخرى نذكرها في إجمال عن طبيعة مؤلفاته الإسلامية ، وطريقة عرضها : بمد أن قدمنا طبيعته ككتاب ، في أسلوبه ، وفي تصويره ، وفي أدائه :

قرأت الأستاذ سيد قطب في ميدان الفكرة الإسلامية ، خمسة كتب : التصور الفنى في القرآن . والمدالة الاجتماعية في الإسلام ، ومشاهد القيامة في القرآن ، ومركة الإسلام والرأسمالية ، وأخيراً هذا الكتاب الذى بين يدي الآن « السلام المالى . والإسلام » وقد عرفت عن هذه المؤلفات عدة أشياء ؛ تركز في دقة التقسيم ، وجودة العرض ، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج وعمق البحث وجدته ؛ وتتمثل في بساطة وسهولة وسلاسة توائم سائر القراء من جميع الطبقات ، رغم ما بها من تبحر وتحليق ، في تقسيماته واستنباطاته واستنتاجاته ؛ على جبهة مليئة بالمعبد الدقيق من مالوف ألفاظ الاقتصاد والنطق والطبيعة . وعرفت أيضاً مؤلفاته طريقتين طرفين : إحداهما ، هادئة كالسطح الساكن ، وأخرى متأججة نائرة لا تلوى على شيء . . . الطرف الأول في كتابه المدالة ، والثانى في كتابه المركة ؛ وبين الكتابين وبين الطريقتين ، أوساط عديدة تقف بين الوجه الهادئ للنفس المتأججة ، وبين الوجه الناضب لنفس النائرة ، في مكان خاص بين الوجهين والطريقتين ، وكتاب المؤلف الأخير أقرب إلى الهدوء وإلى المدالة منه إلى المركة ، وإن كان الباب الأخير فيه ، يميل إلى أن يكون وسطاً متوازياً في عرضه وأدائه بين الكتابين ، وبين الطريقتين

ولقد كان بوجدى أن أحدث من كتبه كلها ، لا أكنه لها ولنتاجه وطريقته من تقدير وحب ، لولا أننى في مجال الحديث عن كتابه الأخير ، أو هذا هو ما قرنته على الاحجاب والحب . ولا اعتبر أن نعمة اعتباراً من حبي وإعجابى يقف بينى وبين أن أقول للأستاذ سيد قطب على رؤوس الناس ما يود سائر القراء قوله له : لقد وضعت لبنات جديدة في ( مكتبة القرآن ) حتى كتابك ( مشاهد القيامة في القرآن ) رغم أن جودة العرض وحسن التقسيم قد هربا منه هروبا لم يخلف وراءه سوى مستنبطات ومستنتجات . . . الحق أنها تستأهل الاحجاب والتقدير . والحق أنها تستأهل أن يكون بجزاها جودة العرض وحسن التقسيم ، لتكون لها القيمة

المنشودة ، والفائدة المرجوة

وعسير على الباحث ، كما يقول المؤلف في كتابه « السلام المالى والإسلام — « البحث في أى حقل من حقول الإسلام ، دون الإلام بفكرة الإسلام الكلية عند الكون والحياة والإنسان .. فهذا الدين لا يعالج مشكلات الحياة أجزاء وتفاصيل .. أعما هو يرجعها كلها إلى نقطة ارتكاز واحدة .. مردها إلى فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » وفكرة السلام في الإسلام « تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعته وبفكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » ومن أجل هذا يعقد المؤلف باباً خاصاً بعنوان « طبيعة السلام في الإسلام » ويؤكد فيه أنه يجب أولاً وقبل كل شيء ، ربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان رغم أنها ليست من موضوع كتابه هذا كما لم تكن من موضوع المدالة . والمؤلف يستهل ذلك الباب بقوله : « إن فكرة السلام في الإسلام فكرة أسيلة عميقة » ثم يعضى بربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية ، إلى أن يقول : « من هذا التناقض في طبيعة الكون ، وفي ناموس الحياة وفي أصل الإنسان . تستمد طبيعة السلام في الإسلام .. فتستند إلى أصل أسيل عميق ، ويصبح السلام هو القاعدة الدائمة ، والحرب هى الاستثناء » . ولكن الإسلام « يستبعد الحروب التى تثيرها المصيبة الضمنية » أو « المصيبة الدينية - بمنها الضيق .. كراهية الأديان الأخرى » كما « يستبعد الحروب التى تثيرها الطامع والنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الأسواق والطماع ، واسترقاق المرافق والرجال » ويستبعد أيضاً تلك « الحروب التى تثيرها حب الأحماد الزائفة للملوك والأبطال ، أو حب المنافع الشخصية والأسلاب » .. فاهو ذلك النوع من الحرب ، القى يستغني الإسلام من قاعدته الدائمة : السلام ؟ تترك ذلك للمؤلف في كتابه ، كما تترك ما يطوف حول موضوع السلام والحرب في الإسلام من شبهات وظنون ، ومخاوف وأقاويل

قد يسأل القارى ، لماذا وضع المؤلف ذلك الكتاب .. ؟ ولن يقدمه من الناس ؟ . ونعتقد أن الجواب يدلى به المؤلف نفسه في أخريات الفصل المقود بعنوان « الحقيقة والحياة » الذى جعله مطلقاً لكتابه ، حيث يجيب في أخرياته من ثنايا قوله « ولقد كنا

جماعة، وقد نشأت هذه الصورة من طبيعة الإسلام واستعداد شريعته من الله لا من إنسان، فالفرد لا يشرع للجماعات في الإسلام، والجماعة لا تشرع للأفراد، إنما يخضع الفرد، وتخضع الجماعة، لذلك القانون الإلهي برعام جميعا، وحينما يتقرر ذلك يصبح أمن الفرد الشخصي هو أمن الجماعة الكلي، وأمن الجماعة العام هو أمن الفرد الخاص، بلا تناقض بينهما ولا انتقاص

نم يفقد المؤلف فصلا آخر أو بابا ختاميا بعنوان (والآن ...) يتساءل فيه عن طريقنا نحن الأمة المسلمة؟ وكيف نواجه مسألة السلام العالمي بعقيدتنا الإسلامية. وكيف نتصرف في المجال الدولي طبقا لهذه العقيدة، وما واجبتنا تجاه الحياة... وتجاه الإنسانية... وتجاه أنفسنا؟ وقبل أن يجيب الأستاذ يأخذ في استعراض الحالة الدولية، بما يقوم فيها من صراع، وبما يشتمل عليها من مذاهب، حتى يخلص بنا إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، وإلى (طريق الخلاص) الذي تترك كتابه يتحدث عنه في واقع منطقي يملو على الشك وعلى الجدل

ذلك هو كتاب الكاتب الداعية الأستاذ سيدة طاب، حاولت جاهدا أن أجمل فكرته للقراء في تلك المطور وبعد فالكتاب يقع في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط، ويتمتع بكل الخصائص الممكنة لأولفه، أما ما حدث فيه من تكرار لبعض ما ورد في كتابه المداة، مما قد يؤدي إلى إذهاب بعض جدته، فلعل السبب هو التشابك والتماثل في كليات الفكرة الإسلامية وجزئياتها، تشابكا يرغم الباحث على التناظر لكل ما يجاور مبحثه المطروق. والكتاب أيضا كتاب فريد في بابه، فريد في شموله وتكامله، وما تزال في انتظار كتابه التالي (نحو مجتمع إسلامي) متحضر، لأنه (كمحاولة للقيام بدراسة واقعية لقوميات المجتمع الإسلامي ودستوره كما يمكن أن تكون في القرن العشرين) يمد أقرب الخطوات الفكرية والكشفية لطريق العمل الجدي المنعج. وللوقت السامع للوحدة الإسلامية، فإلى ذلك الحين... وإلى ذلك الحين

محمد فياض

تتجلى على عقيدتنا الضخمة.. أنها لا تسمحنا بالحلول العملية لمواجهة الحياة المصرية ومشكلاتها وبخاصة في الحقل الاجتماعي والحقل الدولي. فأما الحقل الاجتماعي فقد صدرت فيه عدة مؤلفات تكشف الحلول العملية التي يملك الإسلام أن يواجه بها الحياة.. وأما الحقل الدولي، فربما كان العمل فيه قليلا، ولم تشرح هذه الناحية بمدى شرحا كافيا، وأماننا اليوم مشكلة السلام العالمي التي تواجهها البشرية جميعا. ونواجهها نحن ضمنا. فهل للإسلام فيها رأي؟ ولها عنده حل؟

هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية على هذا السؤال.. وفي سبيل هذه الإجابة، وفي سبيل تحديد « طبيعة السلام في الإسلام » وتفصيلها، يقيم المؤلف هذه الطبيعة، ويشهد ذلك السلام، ويبنى كتابه على عمدة أربعة « سلام الضمير، و سلام البيت، و سلام المجتمع، و سلام العالم » فبدون واحد من هذه العمدة لا يتحقق السلام في نظر الإسلام، بل ولا يستقيم للآخر موقف، ولا يستقر له مكان « فالإسلام يبدأ محاولة السلام أولا في ضمير الفرد، ثم في محيط الأسرة.. ثم في وسط الجماعة.. وأخيرا.. محاولة في الميدان الدولي بين الأمم والشعوب »

وفي سبيل « سلام الضمير » حيث « لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام » وفي سبيل « سلام البيت » حيث أن « الفرد الذي لا يستمتع بالسلام في بيته » لن يعرف للسلام قيمة، ولن يتذوق له طمنا، ولن يكون عامل سلام، وفي أعصابه معركة، وفي نفسه قلق، وفي روحه اضطراب » وفي سبيل « سلام المجتمع » حيث « تشابك المصالح، وتتراحم الدوافع، ويكثر الشد والجذب، والأخذ والمطاء » وفي سبيل « سلام العالم »

... في سبيل كل ذلك

يستعرض المؤلف الوسائل والأسباب، ويستكشف السبل المؤدية في الإسلام إلى ( سلام الضمير، وإلى سلام البيت، وإلى سلام المجتمع، وإلى سلام العالم ) على قيود النظر الإسلامية إلى الفرد والجماعة « فالفرد والجماعة في الإسلام ليسا هذين ولا ندين، إنما هما خلية واحدة في صورتين: الفرد فردا، والفرد مشترك في